في قضية عدم الارتباط بين علم الآثار والقصص القرآني (قضية جدلية)

رحاب عبد المنعم عبد الصمد باظة•

تمهيد:

مما لاشك فيه أن قضية وجود صلة وثيقة -من عدمه- بين دراسة علم الآثار وحضارات الشرق الأدنى القديم من جهة وبين ما ورد في قصص القرآن الكريم من جهة أخرى يعد قضية جدلية. وقد دفعني إلى دراستها ما قرأته في بعض كتب تفاسير القرآن الكريم، وبعض الكتب التي تتناول قصص القرآن الكريم بوجه عام وقصص الأنبياء بوجه خاص والتي تمحورت أحداث بعضها بل وأهمها على أرض مصر؛ ألا وهي قصة موسى وفرعون. وقد هالني ما رأيت من اخطاء تاريخية أحياناً، ومعلومات متضاربة أحياناً أخرى، أو نقص في الخلفية التاريخية التي كان يمكننا إضافتها وتقديمها، ولكن يعتبر أخطرها هو اجتهاد من ليسوا من أهل العلم والتخصص في هذا المجال، وقد كان من المنوط بنا دراسة مثل هذه الموضوعات، فكما قال تعالى:
"**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**"ومن هنا فقد بدأت دراستي لهذا الموضوع بتساؤل هو:هل هناك علاقة بين علم الآثار وبين ما ورد في القرآن الكريم بصفة عامة؟ وللإجابة على هذا السؤال كان لابد من دراسة كليهما حتى نجيب على هذا التساؤل.

أولاً: علم دراسة الحضارات القديمة:

إن التاريخ كما نعلم هو ربط الأحداث بأزمانها. والتاريخ ما هو إلا مجموعة من الأخبار والقصص عن أقوام عاشت وماتت فتركت اثار معيشتها باقية خالدة على جدار الحضارة الإنسانية. أما الحضارة فهي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي. وعلم الآثار Archaeology هو علم دراسة كل ما خلفه الإنسان، وكما قال فولتير:
"أحب أن أعلم الخطوات التي سارها الإنسان في طريقه من الهمجية إلى المدنية"[١].
وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تؤكد على عبقرية العقل الإنساني في كل زمان ومكان، وتبين لنا كيف استطاع الإنسان الأول أن ينتقل من الحياة البدائية التي عاشها في الدهور الحجرية إلى حياة مستقرة بل ومزدهرة في معظم الأحيان، وكيف انتقل من

• طالبة دكتوراه -تاريخ واثار مصريه قديمه.

[١] ول ديورانت: قصة الحضارة ، ترجمة: زكي نجيب محمود ومحمد بدران، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠١، المجلد الأول، جـ ١، ص ١-٣.

حياة الكهف إلى حياة البيت، كما تدلنا عما بلغه إنسان هذه الحضارات من تقدم ورقي في جميع المجالات سواء كانت علمية أو أدبية أو فكرية[٢].

وإذا تكلمنا عن الحضارة المصرية القديمة بوجه خاص فحسبنا ما قاله ول ديورانت:

"إن الكشف عن تاريخ مصر لهو أروع فصل في كتاب علم الآثار"[٣].

والحضارات كلها سلسلة محكمة السر، متينة الحلقات، يؤثر سابقها في لاحقها ويتأثر حاضرها بماضيها، وتظل الحضارات بصفة عامة مزدهرة في أحضان النبوات وفي رحاب الإيمان حتى تنفصل عن الله، فإذا بها حديث يروى، وقصة تحكى، وأثراً بعد عين، لذا فإن تجارب البناء الحضاري إذا كانت نابعة من القران الكريم يكون لها شأن آخر في الهداية إلى الحق والاتجاه إلى الخير والعصمة من الضلال[٤].

والقران الكريم وهو مصدر خصب للمعرفة التاريخية ومثاراً للعظة والاعتبار لا يطلب النظرة المتعجلة أو الرؤية السريعة، ولكن يطلب إلينا أن نتأمل الآثار بدقة وندرس الأسباب ونفقه النذر لنتبين من خلال ذلك أنباء قوم كانوا سادة فذلوا وكانوا عتاة وطواغيث فأخذهم الله بذنوبهم[٥]، كما أخبرنا الله في كتابه العزيز:

"**أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق**"[٦].

فالاية الكريمة تحثنا على مشاهدة اثار الأمم السابقة، والنظر والاعتبار فيما تركوه من آثار ضخمة بل وعملاقة تثير دهشة الناظر إليها متسائلا في تعجب كيف شيد الإنسان القديم مثل هذه الآثار؟ إذن فدراسة الحضارات لا بد وأن يبتغى فيها العظة والعبرة لأن القوم إذا انحلوا وأبطرتهم النعم وغرقوا في الترف والنعيم وتنكروا لصوت الوحي وترهلوا بالرخاوة أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى:

"**فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين**"[٧] وإذا كان حاضر الإنسانية هو امتداد لماضيها البعيد ومهاد لمستقبلها المرتقب، فإن دراسة التاريخ لها أثر عميق في صوغ العقل ونفعه بتجارب لا حصر لها، وعلى المؤمنين أن يلتمسوا العبرة مما مضى ليصونوا يومهم وغدهم[٨].

---

[٢] توفيق محمد سبع: قيم حضارية في القرآن الكريم، سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، مايو ١٩٧٢، العدد الخمسون، جـ ١، ص ١١، ١٢.

[٣] ول ديورانت: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٦١.

[٤] توفيق محمد سبع: المرجع السابق، ص ١١، ١٢، ص ١٩٧، ١٩٨.

[٥] توفيق محمد سبع: المرجع السابق، ص ١٩٣، ١٩٤.

[٦] سورة غافر، الآية رقم (٣١).

[٧] سورة الدخان، الاية رقم (٢٩).

[٨] يوسف القرضاوي: الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص ١١٧.

كما أن الأدلة المستمدة من الحوادث الماضية والراهنة والتي تحققها لنا دراسة التاريخ والآثار تكشف لنا سراً من أسرار الاجتماع البشري؛ ألا وهو أن للاجتماع سنناً إلهية لا تتبدل ولا تتخلف. فهو القائل سبحانه:

"**سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**"[٩].

وقد أكدت سنة الله في الأرض الحقيقة العلمية المقررة بأن نظام الكون كما فطره الله سبحانه يأبى المحاباة والمصانعة وأن سنن الله تسري على الكافة على حد سواء، وقد أكدت آيات القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:

"**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا**"[١٠].

كما يؤكد هذا المعنى أيضاً الحديث القدسي الشريف:

"الجنة لمن أطاعني ولو كان حبشياً والنار لمن عصاني ولو كان شريفاً قريشياً"[١١].

وإذا تتبعنا سنة الله في أرضه وجدنا أن كل مجتمع يجعل طريقته الطبيعية أنه سليم في نفسيته، سليم في عقليته، سليم في بنيته، يجري إلى غاياته البعيدة، يصل إلى النهايات التي يقصدها خلافاً للمجتمعات التي تبني وجودها على معاكسة السنن الإلهية فإنها تصاب بجراير آثامها ولا تزال تتعسف في سيرها حتى تبيد غير مأسوفٍ عليها.

وتعتبر قصة قوم عاد أروع مثل يمكن أن يساق في هذا الموضوع، فهم قد بلغوا كل أسباب التقدم الحضاري والإنساني وبلغوا كل أسباب الترف والنعيم، وكانت حضارتهم مكتملة زاهية استجمعت عناصر البناء والعمارة فأقامت المصانع وأنشأت الحصون ومهدت الأرض وغرست الحدائق وفجرت العيون ووفرت المال وكثرت الأيدي العاملة، وكانت السماء تمدها بكل أسباب النعيم والعيش في سعادة ورفة حتى وصفها القران الكريم بأنها لم يخلق مثلها في البلاد: "

"**إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد***"[١٢].

ولما جاءهم صوت نبيهم هود عليه السلام داعياً إلى وحدانية الله كانوا قد أسكرتهم نشوة النعيم وغمرتهم أمواج الترف فصموا عن صوت الداعي وعكفوا على أصنامهم، فماذا كانت النتيجة؟ تحولوا بأمر الله من عمد ممددة إلى هياكل مدمرة، وهذا هو موضع التأمل ومنبع العظة فقد كانوا قوماً جبارين، كما ذكر سبحانه: "**وإذا بطشتم بطشتم جبارين**"، وجاءهم العقاب من جنس العمل[١٣]، ولنتدبر قوله تعالى:

---

[٩] سورة الأحزاب، الآية رقم (٦٢).
[١٠] سورة النساء، الآية رقم (١٢٣).
[١١] أخرجه البخاري (٩/ ١١٤).
[١٢] سورة الفجر، الآيات رقم (٧، ٨).
[١٣] توفيق محمد سبع: المرجع السابق، ص ٢٠١،٢٠٢.

"وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية* سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية* فهل ترى لهم من باقية"[١٤].

ومن دلائل الإعجاز التاريخي للقران الكريم أنه يعتبر المصدر الوحيد الذي انفرد بأخبار قوم عاد مع نبيهم هود عليه السلام دون غيره من الكتب السماوية،بحيث إذا أردنا الحديث عنهم لم نجد إلا آيات القرآن الكريم وحده تحدثنا عنهم، والآثار التي خلفوها وراءهم إذا تم الكشف عنها،فالقرآن الكريم ينفرد بأخبار أمم قديمة طواها العدم ولكن لم يطوها النسيان بفضل تلاوة القرآن الكريم إلى يوم الدين[١٥]كما يعد من دلائل الإعجاز التاريخي أيضاً وبيان السنة الإلهية ما يتضح في قوله تعالى:"**وأنه أهلك عاداً الأولى**"[١٦]،فيرى بعض العلماء أن في ذلك إشارة إلى وجود عاد الثانية التي ستطغي على الأرض وتبغي الفساد وتتصور أنه بإمكانها أن تحدد مصير الأمم وتتلاعب بمقدراتها وتأخذ بكل ما أخذت به عاد الأولى من أسباب التقدم والرفاهية بعيداً عن منهج الله سبحانه،فيحق عليهم قول ربنا عز وجل أسوة بعاد الأولى فيصبحون عبرة لغيرهم،ولعل هذا هو أبلغ عظة يمكن أن تستقى من دراسة تاريخ الأمم والحضارات القديمة.

وأرى من خلال دراستنا للعصور التاريخية قديمها وحديثها، أنه يمكننا التأكيد على أنه في كل زمان كان هناك عاد، فقد كان هناك عاد البابلية وعاد الاشورية وعاد الفارسية وعاد الرومانية، وفي العصر الإسلامي كان هناك عاد الصليبية وعاد التتار وهكذا في كل عصر وفي كل حين.

ثانياً: قصص القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم الذي نزل ليكون دستور حياة لهذه الأمة قد احتوى على هذا القصص الوفير الذي يمثل نحو خمس ايات القران الكريم. لأنه سبحانه سبق في علمه أن الأمة المسلمة ستمر بأدوار كالتي مر بها أصحاب هذا القصص فعرضها حتى يتحقق لهم العظة والعبرة، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب القصة لما لها من أثر عميق في النفوس ولما فيها من عنصر التشويق، فهي على رأس الوسائل التي دخل منها الهداة والمصلحون والقادة إلى قلوب الناس وعقولهم، ومن هنا فقد ساق القرآن الكريم ما ساق من قصص يمتاز بسمو الغاية وشريف المقصد وصدق الكلمة والموضوع وتحري الحقيقة بحيث لا تشوبها شائبة من الوهم أو الخيال أو مخالفة الواقع[١٧].

---

[١٤] سورة الحاقة، الايات رقم ٦-٨.

[١٥] توفيق محمد سبع: المرجع السابق، ص ٢١١.

[١٦] سورة النجم، الاية رقم (٥٠).

[١٧] محمد سيد طنطاوي: القصة في القرآن الكريم، سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة، ٢٠٠٧، جـ ١، ص ٣.

وينقسم القصص القرآني إلى نوعين:

١-قصص يعرضها القران باختصار كامل ولكنه واف، لا يذكر فيه الزمان ولا المكان ولا يحدد الأشخاص، لأنه لا يريد إلا التأكيد على العظة والاعتبار فقط.

٢-قصص يفيض القران فيه بذكر أصحابه والزمان والمكان والأحداث التفصيلية، مثلما حدثنا عن قصة موسى وفرعون وعن مملكة سبأ ومملكتي داوود وسليمان وقوم شعيب في مدين، وقوم عاد في الأحقاف، وقوم ثمود وقوم لوط (المؤتفكات) وقصة يوسف عليه السلام.....الخ القصص القرآني.

وقد احتوى القران الكريم على قصص الأنبياء وغيرها من القصص من أجل تحقيق العديد من الأهداف:

١- الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد والتأكيد على أن الأنبياء قد أرسلوا جميعاً برسالة واحدة في أصولها ألا وهي إخلاص العبادة لله الواحد القهار[١٨]، فقد دعى كل من الأنبياء نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام جميعاً أقوامهم إلى عبادة الله الذي لا شريك له قائلين: "**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**"[١٩].

٢- إقامة الدليل على أن القرآن وحي من عند الله تعالى، فيؤكد صدق رسولنا الكريم(ص) لأنه لم يعاصر هذه الأحداث[٢٠]، فكما قال تعالى:

"**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا...***"[٢١].

٣- تقديم العظة والاعتبار لأمة الحبيب (ص) وحتى يكون هذا القرآن دستوراً لحياتنا، فكما قال تعالى:

"**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء**"[٢٢].

وتأتي هذه الاية كاخر اية في سورة يوسف بعد أن سردت القصة كلها على نحو مسترسل وكامل، وكأنها ترشدنا إلى أن الهدف من القصة ليس المتعة والتسلية ولكن يذكرنا أنها قصة واقعية كي تكون عبرة لأصحاب العقول الذكية.

٤- حتى يتحقق للأمة المسلمة أن تكون شاهدة على سائر الأمم، كما أخبرنا الخالق سبحانه:

"**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**"[٢٣].

---

[١٨] محمد سيد طنطاوي: المرجع السابق، جـ ١، ص ٤.

[١٩] سورة الأعراف، الايات رقم (٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥).

[٢٠] تمام حسان: البيان في روائع القرآن، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣،جـ ٢، ص ٣٨٣.

[٢١] سورة هود، الاية رقم (٤٩).

[٢٢] سورة يوسف، الآية رقم (١١١).

[٢٣] سورة البقرة، الآية رقم (١٤٣).

٥- حينما يتحدث عن الصراع بين الخير والشر يؤكد القصص القرآني أن الهدف هو الصلاح في الأرض والتمكين للخير، وذلك في قوله تعالى:

"... **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض....**"[٢٤].

٦- التنبيه على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري كما ذكر سبحانه:

'**فلم يك ينفعها إيمانها لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون**"[٢٥].

وقد وردت هذه الآية بعد الأمر بالسير في الأرض والنظر في عاقبة الأمم السابقة التي تركت اثارها شاهدة على قوتها ، فما أغنت عنهم من الله شيئاً بعد أن كذبوا السل وكفروا بالله وأرادوا الإيمان لما رأوا العذاب فما كان ذلك لينفعهم من الله من شيء. هذا بالإضافة إلى عظات أخرى يدركها كل ذي عقل ذكي.

وإذا كان القصص القرآني ليس تاريخاً فإن هذا لا يعني أن التاريخ شيء باطل، ولكن قصص القرآن هي شذور من التاريخ تعلم الناس كيف ينتفعون به، وتظهر هذه العبرة في صور شتى مثل بيان حسن عاقبة المؤمنين الذين ثبتوا على الحق، ومن كان له ملك سليمان فلم يشغله ذلك عن ذكر الله، ومن مكن الله له في الأرض مثل ذي القرنين فنشر الخير في مشارق الأرض ومغاربها.....الخ[٢٦].

العلاقة بين علم الاثار والقصص القرآني:

ومن خلال ما سبق في أولاً وثانياً يمكننا أن نتدبر العلاقة بين هاتين الدراستين على النحو التالي: إذا كان التاريخ كما ذكرنا هو ربط الأحداث بأزمانها، وما هو إلا سيرة أقوام عاشوا وماتوا فتركوا آثار معيشتهم لتدل عليهم، وإذا كانت دراسة الآثار بصفة عامة والحضارات القديمة بصفة خاصة تقدم الدليل المادي الملموس على حقيقة أن الحضارات لها دورة حياة الكائن الحي من ميلاد ثم ازدهار ثم إذا ما بلغت كل أسباب الترف والنعيم بدأ العد التنازلي للانهيار.

وبالمثل فإن القصة هي لون من ألوان التاريخ، والقصص القرآني يفيض أحياناً في بعض القصص عن أمم غابرة وأقوام ماضين، عاشوا وماتوا وقد آمن بعضهم أو لم يؤمن، إلا أنه في هذا القصص يوضح لنا قانوناً هاما ألا وهو الاستقامة على أمر الله والعمل على شرعه وهداه. وتعتبر أخبار وقصص الرسل هي المحور الذي نلتقط منه الأحداث التي مرت عليه- لماذا؟ لأن الرسالات حين تأتي بمنهج السماء تنقسم إلى:

١- قسم نظري: وهو القسم العلمي الذي يمثل القضايا التي يجب أن يعلموها من أجل أن يطبقوها لأن المسألة ليست رفاهية علمية.

---

[٢٤] سورة البقرة، الآية رقم (٢٥١)

[٢٥] سورة غافر، الاية رقم (٨٥).

[٢٦] عبد الله حجاج: مقدمة في: محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٥، ٦.

٢- قسم عملي: وهو الذي يمثل التطبيق العملي للقسم السابق، فالقصص يعطينا الجانب العملي المطلوب للمنهج لذلك قصه علينا في القران[٢٧].

ويتبين مما سبق أن أهداف الدراستين هي أهداف مشتركة أهمها بيان العظة والعبرة، وإقرار سنن الله في أرضه والتأكيد على دورة حياة الحضارات والإصلاح في الأرض....الخ.

ومن هنا يكون التاريخ والقصص القرآني متلازمين، فإذا كان القرآن يقص علينا الأحداث الواقعية التي حدثت، فإن الآثار تقيم الدليل المادي بل والناطق على هذا القصص، وإذا كنا قد درجنا على أن الكتاب السماوي لم ينزل ليكون مصدراً تاريخياً أو ليؤرخ لما تم في الماضي، ولكنه نزل لهداية البشر وتعريفهم بأمور دينهم ورسم طريق الصواب لهم وتحذيرهم من عاقبة التكذيب على أيدي الرسل، ثم يتركهم في النهاية لاختياراتهم، وإذا كانت قصص القرآن لم تذكر أحياناً أبطال القصص بأسمائهم الكاملة بل اكتفت بألقابهم مثل: "فرعون"و و"ذو القرنين" فهذا حتى تكون الحكمة عامة وحتى نلتفت إلى العظة والعبرة وليس الشخص[٢٨]، وإن كان هذا في نظري لا يغلق باب الاجتهاد في هذا المجال.

ولعل الومضات التاريخية التي وردت في القرآن الكريم لا تبين وجود ارتباط بينهما فحسب، بل إنه ارتباط وثيق تدعونا إليه ايات القران الكريم حين تأمرنا بالسير والنظر في عاقبة الماضين والتدبر فيما لحق بهم في أكثر من سبع وعشرين آية وموضع من آيات الكتاب الحكيم، ومنها قوله تعالى:

"**قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين**"[٢٩].

بل إن هناك بعض الآيات المتتابعة في سوره هود توضح في استرسال معجز هذا الارتباط، فالايات من (٩٦-٩٩) تتحدث عن إرسال الله لنبيه موسى عليه السلام بآياته إلى فرعون ليدعوه للإيمان بالله وإعراض فرعون وقومه عن ذلك ثم يأتي في الاية رقم (١٠٠) قوله تعالى:

"**ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد**"[٣٠].

والقائم: هو الأثر الباقي ذو النقوش والرسوم والنحت كالأعمدة والمسلات وصروح المعابد و.....الخ.

أما الحصيد: فهي الاثار البائدة التي اندثرت ولم يعد لها وجود.

---

[٢٧] محمد متولي الشعراوي: المرجع السابق، ص ٤١، ٤٢.

[٢٨] نفس المرجع، ص ٢٥.

[٢٩] سورة الأنعام، الآية (١١).

[٣٠] سورة هود، الاية (١٠٠).

وبذلك ينبهنا القرآن الكريم إلى أهمية الآثار بصفة عامة كشاهد وخير دليل على صدق القصص القراني، فلو أن كل الاثار طمست فما الذي يدلنا على صدق القران الكريم لمن لا يؤمنون به، فيمكن أن يقول الجاهل إنه كلام يفتقر إلى الصدق، لذلك نجد أن كل أثر من اثار الأمم السابقة منه ما هو قائم ليدل الناس على صدق ما يقال، ومنه ما هو هالك، لأنه لا يمكن أن تظل كل الآثار قائمة تتحدى الزمن وتقاومه[٣١].

ولعل هذه الآية ترد على غلاة المستشرقين الذين يرون أن في القصص القرآني ما لم يرد ذكره في التاريخ، بل إن بعضه يعتبر من الخرافات في حين أن الهدف منه أن يكون موعظة للتالين والسامعين[٣٢].

ومن دلائل الإعجاز التاريخي في هذه الآيات أنه بعد الآية السابقة يأتي قوله تعالى:

"**وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء.....**"[٣٣].

وما أرى إلا أن هذه الآية تمثل دعوة خاصة للنظر إلى المعابد المصرية القديمة، فهي أعظم وأكمل آثار الفراعنة القائمة (بلفظ القرآن) والتي لازالت بحالتها الأصلية من نحت ونقش ورسوم وألوان، وعند النظر إليها نرى الآلهة -المزعومة- التي تتحدث عنها الآية الكريمة، في قوله تعالى: "**فما أغنت عنهم آلهتهم**".

كما يؤكد لنا القران الكريم على أهمية التدبر في هذا القصص من خلال ما تركه أصحابه وذلك في مواضع أخرى من القرآن الكريم، منها مثلاً ما ورد في سورة القمر حين تكررت دعوة الحق سبحانه أربع مرات متتالية في قوله تعالى:

"**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**"[٣٤].

وذلك بعد الحديث عن أقوام نوح وعاد وصالح ولوط، و"المدكر" هو (المتدبر)، ولا شك أن هذا التدبر لو تم من خلال اثار هذه الأقوام لكان له أبلغ الأثر وأعمقه.

<u>أما بعد :</u>

فماذا يمكننا أن نقدم في هذا المجال؟ لقد وجدت أن المكان خالياً من الخلفية التاريخية الدقيقة في معظم كتب التفاسير، وإذا وجدت كانت منقوصة أو مغلوطة، بل إن هناك بعض الإسرائيليات المدسوسة التي تسيء إلينا جميعاً، هذا بالإضافة إلى ما ينشر على شبكة المعلومات من أبحاث أعدت من غير المتخصصين عن الإعجاز التاريخي في القران الكريم، لذا فإني أطالب بفتح باب الاجتهاد في هذا الموضوع بعد أن تركنا الساحة خالية، فعبث فيها غير المتخصصين بغير علم، وكان علينا ونحن نملك بنواصي اللغة المصرية القديمة بخطوطها الاربعة ومراحل تطورها حتى وصولها

---

[٣١] محمد متولي الشعراوي: المرجع السابق، ص ٣٧.

[٣٢] محمد فريد وجدي:من معالم الإسلام،مجلة الأزهر،القاهرة، ١٣٦٧ هـ، المجلة (١٩)، ص ٢٠٨.

[٣٣] سورة هود، الآية رقم (١٠١).

[٣٤] سورة القمر، الآيات رقم (١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

للقبطية، ونملك اللغة العربية والعديد من الأبحاث التي قدمها أساتذتنا عن المتوارث من المصرية القديمة حتى الان مثل: أ.د.عبد المحسن بكير وأ.د.جرجس متى وأ.د.عبد العزيز صالح وأ.د.فايزة هيكل وأ.د.عبد الحليم نور الدين وأ.د.أحمد عبد الحميد يوسف وغيرهم، هذا بالإضافة إلى ما نملكه من دراسات في حضارات الشرق الأدنى القديم .....الخ، ومن ثم فإنه يمكننا إن أخلصنا النية وعقدنا العزم وحققنا التعاون من خلال لجنة علمية أو دراسات فردية أن نصل بإذن الله إلى ما يؤكد الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم وهو ما يمكن أن يخدم ديننا ووطننا، ثم نقوم بنشر ما نصل إليه من نتائج في المجلات العلمية المتخصصة، فيكون في متناول أساتذة التفاسير، أو الدارسين للقصص القرآني أو الباحثين في سير الأنبياء، بل إنني أدعو إلى إعادة النظر في الكتب الدينية المتداولة ومراجعة ما بها من معلومات تاريخية وتنقيحها، وأن نوحد تفاسير القرآن في تفسير واحد تحت إشراف مجمع إسلامي على مستوى أكاديمي يضم نخبة من كبار الأساتذة في كافة التخصصات من لغة عربية وفقه وشريعة وقانون وفلك وطب وتغذية وأحياء وتاريخ وآثار ....الخ، ومن خلالهم يتم تقديم تفسير موحد للقرآن مجدد ومنقح في ضوء ما وصل إليه العلم الحديث من نتائج تؤكد الإعجاز القرآني في جميع المجالات، لأن كتاب الله لايكفيه أن يجتهد في تفسيره شخص واحد، بل على كل متخصص في مجاله أن يقدم ما يثبت هذا الإعجاز الذي يؤكده القران نفسه في قوله تعالى:

"**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق....**"[٣٥].

ومن خلال البحث في بعض كتب التفاسير والقصص القرآني فقد وجدت العديد من المباحث التاريخية التي يمكن العمل على تصحيحها وذلك كنموذج لما يمكن أن يقدم في هذا المجال، ومنها ما يلي:

<u>جوانب مما ذكر في التفاسير والكتب ويحتاج للدراسة:</u>

١- ذكر بعض العلماء أن القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام عندما كان يتحدث إلى بني إسرائيل وهم ليسوا مصريين بل عبرانيين بعد أن تركوا مصر وخرجوا مع نبيهم من مصر يخاطبهم بـ "البحر"، وعندما يتحدث عن المصريين يذكر "اليم"، وهي كلمة هيروغليفية، فالقرآن الكريم من دقته يخاطب كل قوم بلغتهم[٣٦]، قال تعالى:

"**ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى* فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم**"[٣٧].

---

[٣٥] سورة فصلت، الاية رقم (٥٣).

[٣٦] أحمد شوقي إبراهيم: الجبال ورسالات الأنبياء، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٥٢.

[٣٧] سورة طه، الآيتان رقم(٧٧-٧٨).

وقد وردت كلمة "اليم" في القرآن الكريم بمعنى النيل (٣مرات) و البحر (5مـــرات)[٣٨]، وعندما يتحدث إلى السامري وهو من بني إسرائيل يقول "اليم"، قال تعالى:

"**.....ثم لننسفنه في اليم نسفا**"[٣٩].

أما بنو إسرائيل فيقولون عن النهر أو البحر 'بحر'، في حين يطلق المصريون القدماء لفظ "يم" على البحر والنهر، وهوما عرف بعد اكتشاف حجر رشيد ممـــا يـــدل علـــى الإعجاز التاريخي واللغوي للقرآن الكريم الذي نزل قبل اكتشاف حجر رشيد بأكثر من إثني عشر قرناً من الزمان[٤٠].

٢- إن القران الكريم عندما يتحدث عن ملك مصر في قصة يوسف عليه السلام يذكر 'الملك"، قال تعالى:

'**وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين**"[٤١].

في حين أنه عندما يتحدث عن قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل يـــذكر ملـــك مصر بلقب 'فرعون"، قال تعالى:

'**وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين**"[٤٢].

وهي أكثر قصة ورد الحديث عنها تفصيلاً يفوق ما جاء عن غيرها من القصص فتارة تأتي بإسهاب وتفصيل وتارة باختصار وتركيز، والتعريف في لفظ "الملك" في قصة يوسف 'للعمد" أي "ملك مصر'، وسماه القران هنا ملكاً لأنه عاش في عصر الهكسوس ولم يكن من حكام الفراعنة[٤٣]، أما في قصة موسى عليه السلام فذكر 'فرعون"، لأن الملك كان مصريا فأعطاه القرآن لقب فرعون، خاصة وأن أحداث القصة كانت في عصر الدولة الحديثة، ويعتبر هذا من دلائل الإعجاز العلمي بل والتاريخي أيضاً، خاصة وأن دلالة اللفظ على شخص الملك نفسه لم تثبت إلا منذ عصر الأسرة الثامنة عشر على عهد أخناتون[٤٤]، وليس على القصر الملكي كما كان منذ الدولة القديمة[٤٥].

٣- من هو هامان؟ قال تعالى:

"**.....إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**"[٤٦].

---

[٣٨] فتحي فوزي عبد المعطي: أنبياء عاشوا في مصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٥٠، ملحوظة ٦.

[٣٩] سورة طه، الاية رقم (٩٧).

[٤٠] أحمد شوقي إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٦٤.

[٤١] سورة يوسف، الاية رقم (٥٤).

[٤٢] سورة الأعراف، الآية رقم (١٠٤).

[٤٣] محمد سيد طنطاوي: المرجع السابق، جـــ ١، ص ٢٤١.

[٤٤] أحمد عبد الحميد يوسف: مصر في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٧٤.

[45] Gardiner, A., Egyptian Grammer, Oxford, 1976 ,P.71.

[٤٦] سورة القصص، الآية رقم (٨).

قيل عن هامان في بعض المؤلفات التي تتحدث عن سير الأنبياء أنه "كبير وزراء فرعون"[٤٧], وفي مؤلفات أخرى أنه "قائد جيوش فرعون"[٤٨], وقيل أيضاً أنه "وزير فرعون"[٤٩], وقال البعض الاخر أنه كان هناك حزب عسكري بزعامة مستشار ذكر باسم "هامان", وربما أنه إسم لشخص يدعى "حورمين" أو "حارمين"، كما ذكر أنه إسم لرئيس عمال المحاجر في الأسرة التاسعة عشر في عهد الملك سيتي الأول وابنه رمسيس الثاني، حيث كان الأول "كاتب الملك" والثاني "كاتب القصر" أو "رئيس الديوان الملكي"[٥٠].

وقد نشر مؤخراً على شبكة المعلومات أن ذكر دور "هامان" في قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل قد انفرد به القرآن الكريم دون نصوص العهد القديم (التوراة)، وأن هناك طبيباً فرنسياً هو (موريس باكاي) قد ألف كتاباً بعنوان (موسى وفرعون) ذكر فيه أن إسم "هامان" قد ورد في قاموس الأسماء الشخصية لمؤلفه (هرمان رانكة) وأنه كان إسماً لـ "رئيس عمال مقالع الحجر"، الذي كانت مهمته إدارة المشاريع الإنشائية الكبرى في مصر القديمة في عصر الدولة الحديثة، وأن هذا يعتبر من دلائل الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم[٥١].

٤- ذكر في بعض المؤلفات التي تناولت قصة موسى عليه السلام أن إسمه مشتق من كلمة *mw* الهيروغليفية أي "الماء"، وأن إسمه يعني "المنتشل من الماء والشجر"[٥٢].

٥- تحدث القرآن الكريم عن نجاة فرعون ببدنه بعد الغرق:

"فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ءاية وإن كثيراً من الناس عن ءاياتنا لغافلون"[٥٣].

وقد ذكر في تفسير القرطبي عن معنى "ننجيك ببدنك" أنها تعني (نلقيك على نجوة من الأرض)، لأن بني إسرائيل لم يصدقوا أن فرعون قد غرق، وقالوا أنه أعظم من ذلك فألقاه الله على مكان مرتفع من البحر ليشاهدوه، وقيل أيضاً أن "البدن" في الاية هو (درع فرعون) وكانت من اللؤلؤ أو من الذهب.

وقيل في "لتكون لمن خلفك ءاية" أي لمن بقي من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق[٥٤].

---

[٤٧] فتحي فوزي عبد المعطي: المرجع السابق، ص ١٨٠.

[٤٨] أحمد شوقي إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٤٤، ١٤٥.

[٤٩] محمد سيد طنطاوي: المرجع السابق، جـ ١، ص ٥٠٨.

[٥٠] أحمد عبد الحميد يوسف: مصر في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٠٤.

[٥١] من خلال حديث للد.زغلول النجار منشور على شبكة المعلومات نقلاً عن:صحيفة الأهرام المصرية

[٥٢] فتحي فوزي عبد المعطي: المرجع السابق، ص ١٥٤، ملحوظة ١٨.

[٥٣] سورة يونس، الاية رقم (٩٢).

[٥٤] شمس الدين القرطبي: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٣٣٠٦-٣٣٠٨. ومحمد سيد طنطاوي: المرجع السابق، جـ ١، ص ٤٣٥.

والآية بها إعجاز علمي وتاريخي كبير فنجاة فرعون ببدنه من خلال دراستنا للحضارة المصرية القديمة لا شك أنها تشير إلى مومياء فرعون التي من المؤكد أنه تم تحنيطها على نهج المصريين في تحنيط جثامينهم، فتكون اية لمن خلفه أي للأجيال المتعاقبة التي تشاهد هذه المومياوات فتستقي منها العظة والعبرة.

٦- ذكر في العديد من المؤلفات التي تتناول سير الأنبياء وقصة بني إسرائيل في القرآن الكريم أن العجل الذي صنعه السامري لبني إسرائيل بعد أن نجاهم الله عز وجل من فرعون وآله كان تأسياً بالعجل "أبيس"[٥٥]، وأن السامري تذاكر مع قومه ما كانوا يرونه من صور الالهة المصرية، فأعجبهم أن يكون إلههم في صورة العجل المقدس أبيس، لذلك صنع لهم السامري بمهارته تمثالاً من الذهب على هيئته[٥٦].

وسوف أتناول المبحث الأخير بالدراسة كنموذج لما يمكن دراسته في ذلك الجانب ولما يمكن إثباته من الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم.

العجل الذي عبده بنو إسرائيل بعد الخروج:

عكست لنا آيات القرآن الكريم أن بني إسرائيل بعد أن نجاهم الله عز وجل من فرعون وقومه قد اتخذوا لهم إلها على هيئة العجل وذلك في قوله تعالى:

"**فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي**"[٥٧].

وقال تعالى أيضاً:

"**واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين**"[٥٨].

وقد ذكر -كما سبق- في هذا الموضوع في أكثر من مؤلف من غير أهل التخصص أن العجل الذي عبده بنو إسرائيل هو العجل أبيس، وهذا الرأي يمكن مناقشته على النحو التالي:

١- أن من افترض هذا الرأي قد خلط بين لفظ "العجل" في القران الكريم، و"العجل" في مراجع الديانة المصرية القديمة التي تتحدث عن المعبود أبيس.

٢- إن التعبير الدقيق عن المعبود أبيس لغوياً هو "الثور" وليس "العجل"، وقد ورد في المراجع الأجنبية Bull-god [٥٩]، وهناك فارقٌ لغويٌ دقيق في العربية بين العجل وهو "ابن البقرة حتى عمر شهر"، وبين الثور وهو "ذكر البقرة"، والقران الكريم وهو الدقيق بل المعجز في كل شيء قد

---

[٥٥] أحمد شوقي إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٦٠.

[٥٦] فتحي فوزي عبد المعطي: المرجع السابق، ص ١٩٥.

[٥٧] سورة طه، الآية رقم (٨٨).

[٥٨] سورة الأعراف، الآية رقم (١٤٨).

[59] Hart, G., A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, London and New York, 1992,P.27.

استعمل كلمة "عجل" وليس "ثور"[٦٠]، وقد فرق المصري القديم بينهما بدقة أيضاً، ومن هنا فلا يمكن أن يكون أبيس هو المعني من القران بالعبادة من بني إسرائيل.

٣- هل ثبت لدينا من خلال دراستنا للحضارة المصرية القديمة أن أبيس قد عبد في سيناء في عصور الدولة الحديثة وقت خروج بني إسرائيل ثم اتخاذهم العجل إلهاً لهم؟

والجواب: أن أبيس كان يعبد في منف وسايس وتل أتريب كما ذكر في نصوص الأهرام وكتاب الموتى، ولم ترد عبادته أبداً في سيناء كلها في عصور الدولة الحديثة[٦١].

٤- فرق المصري القديم أيضاً بين كل من شكل الثور وشكل البقرة، وهنا يمكن مقارنة شكل (ثور أبيس) و(البقرة حتحور)[٦٢].

٥- تذكر آيات القرآن الكريم أن بني إسرائيل صنعوا إلههم في هيئة العجل بعد أن مروا على قوم يعبدون مثله بعد عبورهم البحر ونجاتهم، قال تعالى :
"**.....فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إله كما لهم آلهة....**"[٦٣].

فالقران الكريم وهو المعجز يؤكد أنهم لما رأوا العجل صنعوا مثله.

٦- يذكر القرطبي في تفسيره أنهم وجدوا تماثيلاً من البقر، ولهذا أخرج لهم السامري إلهاً في هيئة البقرة.

٧- ويبدو أن بني إسرائيل قد فتنوا بحتحور الذهبية في هيئتها كبقرة والتي كانت تعبد في سيناء إبان هذه الفترة، خاصة أنهم كانوا متأثرين بحب المصريين للذهب، كما أن الإيمان لم يكن قد تمكن من قلوبهم، وقد عبر القران الكريم عن فتنتهم هذه في قول الحق سبحانه:
"**.....وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم.....**"[٦٤].

وبذلك ومن خلال ما سبق يكون بنو إسرائيل قد نحتوا معبودهم تأسياً بالبقرة حتحور، التي كانت دائماً الربة الأولى في سيناء عبر العصور كلها، فهي ربة الفيروز وكانت تلقب بـ "سيدة الفيروز" و"سيدة اللازورد" و"الذهبية"، وقد أخذت هذه الألقاب في سيناء

---

[٦٠] محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، المطبعة الاميرية بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٥٣، ص ٨٩، ٤١٥.

[61] Hart, G., Op.Cit.,P. 28.

[62] Ibid, P. 28,78.

[٦٣] سورة الأعراف ، الآية رقم (١٣٨).

[٦٤] سورة البقرة، الآية رقم (٩٣).

منذ عهد الملك سنوسرت الأول وحتى نهاية عصر الرعامسة، أي في الوقت الذي عاشه بنو إسرائيل في سيناء بعد خروجهم[٦٥].

ومن خلال هذا يمكننا إثبات الإعجاز التاريخي للقران الكريم الذي يوضح عبادة حتحور في سيناء قبل اكتشاف حجر رشيد وفك رموز اللغة المصرية القديمة بأكثر من إثني عشر قرناً من الزمان، قال تعالى:

"سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد"[٦٦].

ويعد هذا المبحث واحداً لما يمكن إثباته في هذا الجانب المعجز من كتاب الله من خلال تخصصنا في دراسة الحضارات القديمة بصفة عامة والحضارة المصرية القديمة بصفة خاصة، وهوما أطالب به الأساتذة الأفاضل والزملاء الأعزاء من خلال هذه الدراسة، والبحث في هذا المجال يتضمن العديد من الضوابط نوضح منها ما يلي:

ضوابط التعامل في قضية الإعجاز التاريخي:

عند التصدي لقضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فإنه لا يجوز توظيف شيئاً إلا الحقيقة القطعية الثابتة التي حسمها العلم والتي لا رجعة فيها حتى يبلغ التحدي مداه في مجال إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم – وهنا بالمثل يكون إثبات الإعجاز التاريخي- لأن العلم إذا وصلت نتائجه إلى مستوى الحقيقة أو القانون فإنه لا يتراجع في ذلك أبداً وإن أمكن له التوسع أو الإضافة إلى هذا الحق مستقبلاً.

وعند التصدي لقضية الإعجاز في القرآن لا بد من اتباع الضوابط المنهجية التالية:

١- حسن فهم النص القرآني وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية ووفق قواعد هذه اللغة وأساليب التعبير فيها على ألا يخرج الدارس باللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية، وعلى ألا يؤول النص القراني لمصلحة النظرية العلمية.

٢- فهم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ إن وجد، وفهم الفرق بين العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل من آيات هذا الكتاب الحكيم.

٣- فهم المأثور من تفسير الرسول (ص) والرجوع إلى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين إلى وقتنا الحاضر.

٤- جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالآية القرآنية إن وجدت.

٥- جمع الايات القرانية المتعلقة بالموضوع الواحد ورد بعضها إلى بعض، أي فهم كل اية في ضوء الأخرى لأن القران الكريم يفسر بعضه بعضا كما يفسره الصحيح من أقوال الرسول.

---

[٦٥] يسرية عبد العزيز حسني: المدخل الشرقي لمصر، دراسة مواقع اثار شمال سيناء، دار هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٧٦.

[٦٦] سورة فصلت، الآية رقم (٥٣).

٦- مراعاة السياق القرآني للآية المراد بحثها دون اجتزائها عما قبلها وبعدها.
٧- مراعاة قاعدة أن العبرة هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والاقتصار على القضية الواحدة في المقام الواحد دون تكديس الآيات المستشهد بها حتى يتضح جانب الإعجاز العلمي في كل منها.
٨- عدم التكلف أو محاولة ليّ عنق الآيات حتى تتوافق مع الحقيقة التاريخية لأن القرآن الكريم أعز وأكرم من ذلك، فهو العلم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
٩- توظيف الحقائق التاريخية القاطعة في الاستشهاد على الإعجاز التاريخي للآية أو الآيات القرآنية الواردة في الموضوع الواحد أو في عدد من الموضوعات المتكاملة.
١٠- ضرورة التمييز بين المحقق لدلالة النص القراني والناقل له مع مراعاة التخصص الدقيق في مراحل إثبات وجه الإعجاز التاريخي في الآية القرآنية الكريمة (التحقيق العلمي)، لأن هذا مجال لا يجوز أن يخوض فيه كل خائض، بل يجب أن يكون في أعلى مراحل التخصص، مع مراعاة أنه لا يمكن لفرد واحد أن يغطي كل جوانب الإعجاز التاريخي.
١١- التأكيد على أن ما توصل إليه المحقق العلمي في فهم دلالة الآية الكريمة ليس منتهى الفهم لها فالقران لا تنتهي عجائبه.
١٢- اليقين بأن النص القرآني الكريم قد ينطبق على حقيقة تاريخية ثابتة، ولكن ذلك لا ينفي مجازاً مقصوداً، كما أن الآية قد تأتي في مقام التشبيه أو المجاز وتبقى صياغة الآية دقيقة من الناحية التاريخية وإن لم تكن تلك الناحية مقصودة لذاتها.
١٣- الأخذ في الاعتبار إمكانية الانطلاق من الآية القرآنية للوصول إلى حقيقة تاريخية لم يتوصل إليها من قبل، وذلك انطلاقاً من الإيمان الكامل بأن القران الكريم هو كلام الله الخالق الذي تعهد بحفظه إلى يوم الدين.
١٤- عدم التقليل من جهود العلماء السابقين في محاولاتهم المخلصة لفهم دلالة تلك الآيات التاريخية في حدود المعلومات التي كانت متاحة في زمانهم.
١٥- ضرورة التفريق بين قضيتي الإعجاز التاريخي والتفسير التاريخي، فالإعجاز التاريخي هو إثبات سبق القرآن الكريم في قضية معينة قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد من القرون، أما التفسير التاريخي فهو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرانية إن أصاب فيها المفسر فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، والمعول عليه في ذلك هو نيته، وهنا يجب التأكيد على أن الخطأ في التفسير ينسحب على المفسر ولا يمس جلال القرآن الكريم، وهنا لابد من الحرص على توظيف الحقائق التاريخية القاطعة التي لا رجعة فيها.
١٦- اليقين في صحة كل ما جاء بالقرآن المجيد لأنه كلام الله الخالق المحفوظ بحفظ الله منذ نزوله وإلى يوم القيامة.

١٧- يجب تحري الدقة المتناهية في التعامل مع كتاب الله، وإخلاص النية في ذلك والتجرد من كل غاية شخصية أو مكاسب مادية، كما يجب على المشتغلين بدراسة القران الكريم أن يتذكروا قول المصطفى (ص):
"من قال في القران بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[٦٧].

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذه الدراسة كيف أن هناك ارتباط واضح بين علم الاثار والقصص القرآني، فكلاهما يقص أحداث أناس عاشوا وماتوا فتركوا آثار معيشتهم لنستقي منها العبرة والعظة، وكيف أن العلم يكمل بعضه بعضاً، فالعلم والدين متلازمين، فكل قضية هنا تخدم الأخرى فأنا لكي أفهم قصص القرآن أحتاج للخلفية التاريخية في النوع الثاني من القصص، وعند دراسة الآثار يتيقن لي أن هذه الأمم لما بعدت عن الحق أصبحت مساكنهم خاوية، وأصبحوا حصيدا كأن لم يغنوا بالأمس.
ومن هنا كان علينا جميعاً اقتحام هذا المجال الذي رفضناه لسنوات طويلة بل وتوارثناه جيلا بعد جيل، مما أدى إلى إيقاف الاجتهاد لسنوات عديدة، والآن بعد أن أصبح العالم كله لا يتكلم إلا بلغة واحدة الان هي لغة العلم، فماذا قدمنا نحن؟ حقيقة إننا لم نقدم إلا النذر اليسير.
نعم لقد وجه لنا القرآن الكريم ما يربو على سبعة وعشرين نداءاً لنسير في الأرض وننظر في آثار الماضين وكيف كانوا أكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم، فلبينا النداء وسرنا وتعلمنا وعلّمنا غيرنا واجتهدنا في أبحاثنا وربطنا القديم بالجديد، واكتشفنا أن فينا من قديمنا الكثير، وأنه لا زال حي فينا بعض من عاداتنا القديمة، ثم نشرنا كل ذلك ووقفنا هنالك بلا حراك واكتفينا بما وصلنا إليه.
ولما كنا في عصر العلم وإثبات جوانب الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فأين نحن من الإعجاز التاريخي في هذا المجال؟ وإذا كان العلماء قد أثبتوا هذا الإعجاز في معظم المجالات العلمية كل في تخصصه، بعد أن ظل لقرون طويلة قاصراً على الإعجاز اللغوي والنظم البياني وما في القرآن من سجع وحلاوة وطلاوة ظلوا مناسبين لروح هذه العصور، فإننا الان أصبحنا نتحدث عن ايات البحار والجبال والنجوم والكواكب والزلازل والبراكين والأجنة والألوان والأعداد.....الخ، أي في مجالات الفلك والجيولوجي وطب الأجنة وعلوم التغذية وعلوم البحار.....الخ، بل أصبحت هناك مجلات علمية متخصصة تقوم بنشر هذه الأبحاث، وعند قراءتها للأسف لا نجد بحثا

[٦٧] زغلول النجار: قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، نهضة مصر ، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٤٤-٥٤.، وتم القياس عليها بالإعجاز التاريخي.

واحداً لأي إعجاز تاريخي، إلا من القليل الذي ينشر على شبكة المعلومات ومعظمه أيضاً قدم من غير المتخصصين، وكيف سيتأتى ذلك؟ ونحن لازلنا نورث فكرة انفصال الاثار عن الدين!!!

والان من الذي سيكتشف مواطن الإعجاز التاريخي؟ أم ننتظر حتى يبدأه علماء الغرب كما بدأ لبسيوس وماريت علم الآثار على أرض مصر، وبالفعل لقد وجدت أن طبيباً فرنسياً وهو موريس ماكاي قد بدأ ببحث من هو هامان؟ خاصة وإذا علمنا أن هذه الآيات تمثل خمس القرآن الكريم، وأن الآيات الفقهية التي تم عمل دراسات عديدة ورسائل ماجيستير ودكتوراة وكتب ومؤلفات وأبحاث لا يتعدى نحو ١٥٠ اية، في حين أننا نترك خمس القرآن بلا دراسة!! على أن يتم ذلك من خلال الضوابط التي سبق ذكرها انفاً، وإلا نكون قد أهدرنا وقتنا وأفتينا بغير علم فنضل ونضلل غيرنا.

كما أدعو جمعية الآثاريين العرب أن تعد ملحقا في مجلتها السنوية يخصص لمثل هذه الأبحاث، فربما يثمر ذلك عن نتائج مبهرة تضيف إلى دراستنا الكثير، ونثري كتاب الله بعملنا هذا ونثري التفاسير ونضع الخلفيات التاريخية ونقضي على الإسرائيليات المدسوسة والأخطاء الفادحة فنكون قدمنا عملا خالصا يرضي الله عز وجل، فهو القائل سبحانه: "**والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون**"[٦٨].

كما أطالب من هذا المنبر الثقافي المنير أن يقوم مجمع علمي يضم نخبة من كبار العلماء في كافة التخصصات فيصدر تفسيراً موحداً للقرآن الكريم يضم أفضل ما وصل إليه العلماء كل في تخصصه، ثم يترجم لجميع لغات العالم، وبذلك نكون قد حققنا المنوط بنا في هذا المجال. "والله أسأل أن يكتب لي ولمن يسمع من الثواب أكثر مما ندعو ومن الرحمة فوق ما نرجو".

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[٦٨] سورة الزمر، الآية ٣٣.